بسم الله الرحمن الرحيم

# جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة:**03** صفر **1432** هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق: **2011/01/07**م **www.al-msjd-alaqsa.com**

## نبضات من تبيان القرآن – في أول أمثال سورة البقرة – الحلقة 2

يقول عز وجل (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لَا يَرْجِعُونَ * أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُم كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة2: **17**–**20**).

## (مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذِي)

الأن نسأل أنفسنا، عن سبب التحول في المثال من إستخدام صيغة الجمع لصيغة الإفراد، مع أن الطبيعي في اللغة أن نقول (مثلهم كمثل الذين) أو أن نقول (مثله كمثل الذي) ونحن نعلم أن قول الله حق، يقول عز وجل (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام6: 73)، فلا بد لهذا التحول من فوائد علينا البحث عنها وتدبرها، ومن الفوائد التي أراها في هذا التحول:–

1. من واقع المثل قلنا أن الله سألنا (ألست بربكم) ونحن أجبنا (بلى شهدنا)، فهنا يوجد طرفان (الله جل جلاله) من جهة وهو واحد أحد فرد صمد، (والذرية كلها) من جهة أخرى، وهم كثيرو العدد بالمليارات، وربما بآلاف المليارات، وخطاب الله كان خطاباً واحداً للجميع، وإجابات الذرية (بلى شهدنا) كانت من كل فرد منها، الآن كيف نتأكد أن كل فرد قال (بلى)؟ فلربما قال بعضهم أو حتى أحدهم (لا) ولكن صوته ضاع بين هذه الإجابات الكثيرة! وكان مجمل الإجابة، أو الصوت الواصل يدل على (بلى)؟! فلمّا قال عز وجل (مثلهم كمثل الذي) أرد لنا أن نعلم أن سؤاله كان للجميع، ولكن الإجابة أخذها من كل فرد من هذه الذرية وكانه كان يتعامل مع كل شخص منهم معاملة خاصة، فهو عز وجل قادر على أن يتعامل مع كل الذرية بنفس اللحظة وكأنه يتعامل مع كل شخصٍ بذاته وبصفةٍ خاصة.
2. يتكلم عز وجل في هذا المثل عن (الذين كفروا) كما قلنا، وهم شقٌ من شقيّ الناس، فهناك شق ثاني من الناس هم (المؤمنين) كما أسلفنا، ومع أن المثل خاص بالكفار، إلا أن المؤمنين متواجدون كجزءٍ ثانٍ من (الناس)، فالناس خليط من (المؤمنين) و (الكفار)، والكفار هو السواد الأعظم من تركيبة الناس، يقول عز وجل (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (عبس80: 17) ويقول (وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ34: 13). وفي هذا فائدة عظيمة، حيث أنه عندما يتكلم عز وجل عن الكفار وصفاتهم وأعمالهم من خلال آيات القرآن الكريم، فكأنه يخاطبنا عز وجل نحن المؤمنين قائلا لنا (لا تفعلوا فعلهم، ولا تكونوا مثلهم، ولا تسيروا على نهجهم، إحذروا أن ترتكبوا المعاصي التي يرتكبوها) وفي هذا تعليم وتنبيه ونصح وإرشاد وتفهيم منه عز وجل.

3. بالعودة للواقع الذي ضُرب به المثل، حيث أخذ عز وجل الذرية وخاطبها، فإنه عز وجل خاطب كل الناس المؤمنين والكفار، لذلك كان لا بد من أن يترك لنا عز وجل إشارات في هذه الآية تدلنا متى يتكلم عز وجل عن الكفار، ومتى يتكلم عن الناس أجمعين المشتملين على المؤمنين، وفي هذه الآيات فقد إستخدم عز وجل كلمات بالإفراد وكلمات بالجمع لهذه الغاية، فحيثما وجدنا كلمة بصيغة الجمع فإنها تتكلم عن (الكفار وحدهم) وحيثما وجدنا كلمة بالإفراد فإنها تتكلم عن كل الناس (المؤمنين والكفار)، تعالوا نتتبع هذه الكلمات في هذه الآيات لنرى هذه الخاصية:-

- مَثَلُهُم: إن الذين كفروا، أي الذي كذبوا بقولهم بلى شهدنا، وهؤلاء الكفار الذي إجترءوا الكذب على الله، من المؤكد أنهم سيكْذِبوا على المرسلين ويكذّبوهم، وسيكذّبوا بالكتب السماوية، وسيكْذِبوا على المؤمنين ويكذّبوهم، لذلك قال عز وجل لمحمد عليه الصلاة والسلام (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُم أَم لَمْ تُنذِرْهُم لَا يُؤْمِنُونَ)، وبكذبهم على الله وعلى المرسلين وبتكذيبهم للكتب السماوية والمؤمنين إستحقوا عذاب الله يقول عز وجل (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة2: 10).
- كَمَثَلِ الَّذِي: (الذي) بالإفراد دلت على أن كل الناس (قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف7: 172) أنك الله وأنك الحق وأنه لا إله إلا أنت ولا رب إلا أنت كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك).
- اسْتَوْقَدَ نَاراً: (إستوقد) بالإفراد دلت على أن كل الناس أنارت قلوبهم بضوء كلمة التوحيد لما قالوا (بلى)، الصادق منهم أو الكاذب. كما جاء في حديث

الرسول عليه الصلاة والسلام (أقبس كل نسمة رجل من بني آدم بنوره في وجهه).

- فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَوْلَهُ: (حوله) بالإفراد دلت على أن هذا النور يضيء طريق كل الناس فهو الفطرة التي جبلنا عليها سبحانه وتعالى وخلقنا بها، فكلنا يعلم أن الله حق وأنه صاحب وخالق كل شيء، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء في صحيح البخاري (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها. قالوا: يا رسول الله: أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين)، فقد جبلنا عز وجل على معرفته ووحدانيته، لذلك حذرنا عز وجل من الشرك وأنه لن يقبل منا الأعذار بهذا الشأن يقول عز وجل (أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ * أَو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِم أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) (الأعراف7: 172-173).
- ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم: كُفر الكفار بآيات الله ورسالات الرسل والكتب السماوية هو الذي ينكت على قلوبهم حتى يغشى هذه القلوب، (وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة2: 7)، وتتراكم هذه الأغشية حتى تصبح أغلفة تغلف القلب (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِم فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة2: 88)، وتتراكم الأغلفة حتى تصبح أغطية (الَّذِينَ كَانَت أَعْيُنُهُم فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً) (الكهف18: 101)، وتتراكم الأغلفة حتى تصبح أكنة (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا) (الأنعام6: 25)، (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ

فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِم نُفُوراً) (الإسراء17: 46)، (وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقْراً وَإِن تَدْعُهُم إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً) (الكهف18: 57)، وتتراكم الأكنة حتى تصبح ران يمنع النور الذي في قلوبهم من الخروج وإنارة الطريق لهم فلا يعود بإمكانهم أن يروا الله وعظمة الله فيما يسمعوا ولا فيما يبصروا ولا يعودوا يذكروه ويسبحوه ويعظموه ويهللوه كلما إستشعروا نعمة من نعم الله عليهم، (كَلَّا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين83: 14)، وفي صحيح الترمذي جاء عن أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

- وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ: الكلمات بالجمع تدل على أن الخطاب للكفار، فالعيون التي منحنا إياها عز وجل، هذه النعمة العظيمة مقصدها أن نبصر آلاء الله وآياته في أنفسنا ومحطينا، في الأرض، في السماء، في كل شيء، يقول عز وجل (أَلَهُم أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَم لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَم لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَم لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُم ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ) (الأعراف7: 195)، فإن نحن شاهدنا هذه الآيات ولم نستدل منها ولم نتذكر بها وحدانية الله وربوبيته وعظمته فإن هذه العيون لم تؤدي المهمة الحقيقة منها، يقول عز وجل (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف7: 179)، وبالإصرار على كفر النعمة لله تكون النهاية الحتمية للكفار أن

يصلوا لمرحلة عمى القلب فلا يبصروا الله وعظمته. يقول عز وجل (وَيَمُدُّهُم فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ) (البقرة2: 15). ولقاء عمى القلب في الدنيا سيُعمي الله أبصارهم يوم القيامة، يقول عز وجل (وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) (طه20: 124–126).

-- يتبع --

www.al-msjd-alaqsa.com